



مجلة تسلیم



Journal Homepage: <https://tasleem.alameedcenter.iq>
ISSN: 2413-9173 (Print) ISSN 2521-3954 (Online)

بَلَاغَةُ الْخُطَابِ فِي أَقْوَالِ الْإِمَامِ الْجَوَادِ (عليه السلام) دِرَاسَةُ تَحْلِيلِيَّةٍ فِي ضَوْءِ عِلْمِ الْبَيَانِ

نعيمة حسين مُحَمَّد حَسَوكي^١

^١ جامعة حلب / كُليَّة الآداب والعلوم الإنسانية / قسم اللُّغة العربيَّة، سوريا؛

fa8288425@gmail.com

دكتوراه في اللُّغة العربيَّة / مدرّس

تاريخ النشر
٢٠٢٥ / ٩ / ٣٠

تاريخ القبول
٢٠٢٥ / ٨ / ١٧

تاريخ التسليم
٢٠٢٥ / ٢ / ١

DOI:

10.55568/t.v23i35.111-132

المجلد (٢٣) العدد (٣٥)
رَبِيع الآخر ١٤٤٧ هـ . أيلول ٢٠٢٥ م



مُلَخَّصُ الْبَحْثِ:

حياة العلماء مصدرٌ إشعاع الفكر، ومنهلٌ للخير، وينبوعٌ فيّاضٌ من الحكمة، وطاقة في العلم والأدب يستوحى منها الإيمان الصادق والعقيدة الحقّة. ولا يوجد في الأمّة من يساوي أئمّة أهل البيت (عليهم السلام) في فضلهم، ناهيك عن المستوى البلاغي الرفيع والواضح في خطبهم وأقوالهم. ومن بين هؤلاء الأئمّة الإمام مُحَمَّد بن عليّ الجواد (عليه السلام) نموذجاً فريداً في استعمال البلاغة بأسلوب عميق وأصيل.

جاء هذا البحث بعنوان بلاغة الخطاب عند الإمام الجواد (عليه السلام) الذي نهدف من خلاله إلى دراسة وتحليل الخطاب عند الإمام (عليه السلام) من منظور علم البيان الذي يُعدُّ من أمّهات العلوم البلاغيّة. تركّز هذه الدراسة على تحليل أساليب الخطاب التي اعتمد عليها الإمام الجواد (عليه السلام) في مواقفه المختلفة، مع تسليط الضوء على كَيْفِيَّة استعماله للغة بشكلٍ فنيٍّ وبلاغيٍّ في نقل الرسائل والمفاهيم الفكرية.

The eloquence of speech in the sayings of Imam Al- Jawad, PBUH, an analytical study in the light of the science of rhetoric

Naeema Hussein Muhammad Hassouki ¹

¹ University of Aleppo / Faculty of Arts and Humanities / Department of Arabic

Language, Syria;

fa8288425@gmail.com

PhD. in Arabic Language/ Lecturer

Received:

1/2/2025

Accepted:

17/8/2025

Published:

30/9/2025

DOI:

10.55568/t.v23i35.111-132

Volume (23)

Issue (35)

Rabi' Al-Akhir 1447 AH

September 2025 ADD



Abstract:

The lives of scholars are a source of intellectual radiance, a well-spring of good, and effulgence of wisdom. Their knowledge and literature provide true faith and sound doctrine. In the Muslim community, none comes equal to the Ahl al-Bayt Imams in virtue, let alone the sublime and clear rhetorical level evident in their sermons and sayings. Among these Imams, Imam Muhammad ibn Ali Al-Jawad(a.s.) represents the unique example of profound and authentic use of rhetoric.

This research aims to study and analyze the discourse of the Imam from the perspective of Rhetoric and then focuses on analyzing the discourse styles that the Imam employed in various situations. The language used in an artistic and rhetorical manner to convey messages and intellectual concepts is also to be dissected.

It adopts a critical approach to some sayings of the Imam to interpret the meaning of words and phrases from the lens of Rhet-

oric and its divisions: simile, metaphor, metonymy, and figurative language. It unveils how these rhetorical patterns contributed to enhancing the messages directed by the Imam to various segments of society. The rhetoric was employed to present religious and doctrinal concepts in targeted ways, maintaining both the simplicity and depth of discourse simultaneously.

Keywords: Eloquence - Rhetoric - Discourse - Imam Al-Jawad – Simile

اعتمدنا في هذا البحث على منهج تحليلي لبعض الأقوال، يفسر دلالة الكلمات والعبارات من منظور علم البيان وأقسامه، وهي التشبيه والاستعارة والكناية والمجاز، ويكشف كيف ساعدت هذه الأنماط في تعزيز الرسائل التي كان يوجهها الإمام (عليه السلام) إلى مختلف فئات المجتمع. فوظف البلاغة لعرض مفاهيم دينية وعقدية بطرائق موجهة مع الحفاظ على بساطة الخطاب وعمقه في آن معاً.

الكلمات المفتاحية: البلاغة - البيان - خطاب - الإمام الجواد (عليه السلام) - التشبيه.

المقدمة:

إنَّ دراسة النصوص الأدبيَّة الثَّرائِيَّة تُعدُّ مظهرًا من مظاهر الرُّقيِّ في اللُّغة العربيَّة، ولا سيَّما الدراسة البلاغيَّة لها؛ فالبلاغة من أبرز علوم اللُّغة العربيَّة وأكثرها تأثيرًا في نقل المعاني وتعميقها في النفوس، فهي غير مقتصرة على جمال العبارة، بل إنَّها تضمُّ أيضًا قدرة المتكلِّم في اختياره لألفاظه التي تلائم المقام والتراكيب التي تنقل أفكاره بوضوح، فيتفاعل المتلقِّي مع النِّصِّ ويشير انتباهه، فامتازت البلاغة بمكانةٍ عاليةٍ في الخطاب الإسلاميِّ. ولا يخفى عن علماء هذا العلم الحسُّ البلاغيُّ عند أهل البيت (عليهم السلام)، فانمازت خطبهم وأقوالهم بفصاحة الألفاظ، وجودة السَّبكِ وجزالة اللَّفْظِ ومتانته، فكانت كلماتهم تعبيرًا عن أعلى درجات الفصاحة والبيان.

ومن أهل البيت برز الإمام الجواد (عليه السلام)، نموذجًا فريدًا في استعمال هذا الفنِّ العربيِّ بأسلوبٍ عميقٍ، فقد انَّصفتِ المرحلة التي تولَّى الإمامة فيها بالحرجة، وذلك بسبب انتشار الفساد والنزاعات في المجتمع الإسلاميِّ، فواجه تحدياتٍ كبيرةٍ في نشر العلم وبيان التشريعات الإسلاميَّة.

وبسبب ذلك عمد الإمام (عليه السلام)، إلى استعمال الخطاب البلاغيِّ بوصفها أداةً فعَّالةً لنشر الإسلام وتعاليمه، وكلُّ ذلك بأنماطٍ بلاغيَّةٍ تتَّسم بالعمق والوضوح في آن واحد. وبحكم تلك الفترة العصبيَّة استعمل الإمام (عليه السلام) من البلاغة ما يعكس مهاراته في التواصل مع مختلف مقامات المجتمع. في فتراتٍ عصبيَّة، حيث كانت الأُمَّة في حاجةٍ ماسَّةٍ إلى توجيه فكريٍّ ونفسيٍّ، فبلاغته لم تكن محصورة في إطارٍ دينيٍّ فحسب، بل امتدَّت لتشمل آفاقًا أخلاقيَّة واجتماعيَّة، فكانت كلماته تمثِّل نهجًا متكاملًا للحياة الإسلاميَّة المستنيرة.

من هنا اعتمد الإمام الجواد عليه السلام على الصور البيانية من استعارة وكناية وتشبيه وغيرها من المظاهر البلاغية؛ وذلك لما لها من دور بارز في فهم المعاني والتعبير عن الأفكار بحررية واسعة.

فكانت البلاغة في أقوال الإمام الجواد عليه السلام أداة فكرية ذات أبعاد متعددة جمعت ما بين التأثير الفكري والعاطفي عند المتلقين.

وقد جاء هذا البحث ليتناول بلاغة الخطاب عند الإمام الجواد عليه السلام من منظور علم البيان، هذا العلم الذي يدرس أساليب التعبير وفنون بلاغة اللغة.

سنناقش في هذا البحث كيفية تأثير هذه الأنماط في تفاعل المستمعين وتوجيههم نحو التفكير والتأمل في المعاني التي يقدمها الإمام عليه السلام. فقمنا بتحليل بعض أقوال الإمام الجواد عليه السلام التي تظهر براعته في فنون البلاغة، فكانت ملهمة لما تلتها من الأجيال. وذلك باستعمال المنهج الوصفي التحليلي لوصف تلك المظاهر وتحليلها وبيان المعنى من ورائها.

وتضمن البحث الحديث عن التشبيه والاستعارة والكناية والمجاز، وجاء هذا الترتيب بحسب الفن الأكثر بروزاً في أقواله، وكيف ساعدت تلك الأنماط في إيصال الرسائل التي أراد الإمام عليه السلام تنبيه المتلقين إليها.

١- التشبيه وأثره في إيصال المعاني:

يُعدُّ التشبيه من أجمل فنون البيان في تصوير الصور الفنية الأدبية عن طريق عقد صلة بين "شيئين بينهما اشتراك في معانٍ تعمهما ويوصفان بها، وافتراق في أشياء ينفرد كل واحد منهما عن صاحبه بصفته^١".

ومما هو معروف ما للتشبيه من وظيفة في تقريب المعنى وتوضيحه وتوكيده، وإذا ما دققنا في وظيفة التشبيه نبيّن ما له من تأثير في المتلقي، وحثّه على أخذ موقف

١ البغدادي، قدامة بن جعفر. نقد الشعر، ط ١ القسطنطينية: مطبعة الجوائب (د.ت)، ٣٧.

مَّا يقدِّمه إليه المتكلم من أفكار، وبذلك تبرز وظيفة إقناعية للتشبيه تضاف إلى رصيده من الوظائف.^٢

شكَّلت الصور التشبيهية في أقوال الإمام الجواد (عليه السلام)، خصيصةً بلاغيةً مائزةً، وذلك لنقل الملامح التعبيرية في سياق الخطب والأقوال إلى ذهن المتلقي. وهذا ممَّا يساعد في تقريب المعنى وتأكيد، ناهيك عن أنَّ التشبيه لا يحتاج إلى تفكير عميق في إيجاد وجه الشبه بين المشبه والمشبه به، ولهذا برز هذا الفنُّ البلاغيُّ الأكثر في خطبه. إنَّ الحسَّ البلاغيَّ عند الإمام الجواد (عليه السلام) جعله يعتمد على التشبيه في تجسيم المعاني المعنوية في صور محسوسة، أو تشخيص المعاني المجردة. ففي قوله (عليه السلام): "نعمة لا تشكر كسيئة لا تغفر"^٣ في الشاهد السابق اعتمد الإمام (عليه السلام) على التشبيه المرسل وهو ما ذكرت منه الأداة، أو التشبيه المجمل وهو ما حذف منه وجه الشبه. عقد الإمام (عليه السلام) في استخدامه للتشبيه في القول السابق صلةً بين النعمة التي لا يشكر صاحبها وبين السيئة التي لا تغفر، وذلك يأتي من باب الدَّعوة إلى شكر الله عزَّ وجلَّ الدائم على نعمه، والملاحظ في القول السابق أنَّ الذنب الذي لا يغفره الله عزَّ وجلَّ هو الذنب الكبير كالشرك، والنعمة التي لا يحمد العبد الله عزَّ وجلَّ عليها تصبح كذلك الذنب، وكأنَّ القول السابق تضمنين لمعنى الآية الكريمة لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ﴿١٧﴾ (إبراهيم: ٧)

فيحضُّ الإمام (عليه السلام) في قوله على بيان مدى أهميَّة الشكر على النعم، والاعتراف بالفضل. فكانت وظيفة التشبيه توضيح مدى أهميَّة إدراك النعم التي يعيش بها الإنسان وشكر الله عزَّ وجلَّ عليها.

٢ سليمان، علي محمد. كتابة الجاحظ في ضوء نظريات الحجاج رسائله أنموذجاً البحرين: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، (٢٠١٠)، ٢٢.

٣ الشيخ الصدوق، الأمالي، تحقيق. لجنة وتحقيقات. مكتب الإعلام الإسلامي، ط ١ طهران: دار الكتب الإسلامية، (١٩٩٠)، ١٤٥.

وفي قوله عليه السلام: "من سعى في إصلاح بين الناس كان له من الأجر مثل أجر من صام نهراً وقام ليلاً"^٤ والتشبيه الذي اعتمد عليه الإمام عليه السلام هو التشبيه التمثيلي وهو تشبيه "لا يكون الوجه فيه أمراً بيّناً بنفسه، بل يحتاج في تحصيله إلى ضرب من التأويل والصرف عن الظاهر، لأنَّ المشبه لم يشارك المشبّه به في صفته الحقيقية"^٥ فالتشبيه يعرف بأنّه "هو عقد مماثلة بين شيئين يشتركان في صفة معيّنة باستخدام أداة تشبيه"^٦، أمّا مع التمثيليّ فوجه الشبه يحتاج إلى نوع من التأمل، ويكون المشبّه والمشبّه به عبارة عن صورة مركّبة.

لقد عمد الإمام الجواد عليه السلام في القول السابق إلى عقد مقارنة بين الأجر الناتج عن إصلاح ذات البين، بالأجر الذي يناله من يصوم النهار ويقوم الليل. فالإصلاح بين الناس هو عمل نبيل، وهو عمل شاقّ يتطلّب جهداً وصبراً في محاولات حلّ النزاعات والخلافات. وفي الطرف الآخر الصوم والقيام هما من أعظم الأعمال والعبادات للتقرب من الله عز وجل، فالصيام يتطلّب من الصائم التّحمّل والقيام يتطلّب الجِدَّ والمثابرة والمواظبة. فالإمام عليه السلام أعطى أهميّة كبيرة للعمل الاجتماعي والإصلاح بين الناس، فقد عدّه من العبادات الكبرى.

وفي قول الإمام الجواد عليه السلام يعود إلى التشبيه المرسل "إيّاك ومصاحبة الشرير، فإنّه كالسيف المسلول، يحسن منظره ويقبح أثره"^٧. جاء التشبيه على هيئة صورة بصورة، ولكن مع عدم وجود وجه شبه بين المشبّه والمشبّه به، فيشبه الإمام الجواد عليه السلام الصحبة السيئة بالسيف المسلول، ذو المنظر الحسن ولكن جوهره عكس ظاهره.

٤ الكليني، أبو جعفر محمد بن يعقوب. الكافي، تحقيق. علي أكبر الغفاري طهران: دار الكتب الإسلامية، (١٩٨٣)، ٤٤٦.

٥ طبانة بدوي. علم البيان، دراسة تاريخية فنية في أصول البلاغة، ط ٢ الأنجلو المصرية، (١٩٦٧)، ٨١.

٦ الجرجاني، عبد القاهر. دلائل الإعجاز، تحقيق. محمود محمد شاكر، ط ٥ القاهرة: دار المعارف، (١٩٩٢)، ١٤٢.

٧ المجلسي، محمد باقر. بحار الأنوار بيروت: دار إحياء التراث العربي، (١٩٨٣)، ١٥٠.

والملاحظ في التشبيه السابق العلاقة التي لا وجود لها في الواقع بين المشبّه والمشبّه به، فالسياق هو من أوجد تلك العلاقة، واستدعتها البنية الفكرية للنص. إنَّ المقدرة البيانية في القول السابق قامت على تجسيد المعنى العقلي بالحسي، وذلك لتقريب المراد من ذهن المتلقي. فالشرير أو الشخص السيئ يشترك في الأثر مع السيف المسلول من غمده فهو جميل المنظر، ولكن أثره قبيح بالقتل أو الإيذاء. فالصدقة الصحيحة تحمي الإنسان وتقع آثار تلك الصدقة عليه، ومصاحبة الشرير سيقع أثرها على من يصاحب، ناهيك عن العدوى الفكرية التي تؤدي إلى التهلكة والنقمة في الدنيا والآخرة.

وبذلك أحسن الإمام الجواد (عليه السلام) الاختيار، فعمد من خلال هذا التشبيه إلى رسم صورة واضحة لمعالم هذا الشخص، وتقريرها في ذهن المتلقي. وبداية قوله كان بأسلوب التحذير ليناسب المقال الذي جاء في السياق، ويحمل ما أشار إليه القرآن الكريم بضرورة الاختيار السليم للأصحاب فقوله تعالى: ﴿الْأَخْلَاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ﴾ (الزخرف: ٦٧). فما يدعو إليه الإمام (عليه السلام) لا يخالف ما جاء به القرآن وهذا دليل على التدبّر والتعمّق في الذكر الحكيم.

٢- الاستعارة وأثرها الإيجابي:

وهي من ألوان التصوير المعبرة، يعرفها ابن الأثير أنها "استخدام لفظ في غير معناه الأصلي لعلاقة المشابهة مع حذف أحد طرفي التشبيه"^٨.

فالصورة الاستعارية تقوم على عنصر الاستبدال بين المفردات فيجتمع في العبارة نمطان غير متفقين من الكلام يجمعهما الاختلاف، وهذا ما يسبب كسر أفق المتلقي. فالقيمة الجمالية لهذا الفن في الخطاب هي توليد الإيحاء بين دالتين، الأولى حرفية ولكنها غير مقصودة وأخرى هي مقصودة تقوم على قرائن ينبغي على المستمع أو القارئ استنتاجها.^٩

٨ ابن الأثير، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، تحقيق: بدوي الحوفي، أحمد طبانة، ط ٢ دار النهضة العربية، (١٩٧٣)، ٢٣٥.

٩ بركة، فاطمة الطبال. النظرية الألسنية عند رومان جاكسون بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، (١٩٩٨)، ٨٠.

وبرزت الاستعارة في خطاب الإمام الجواد (عليه السلام) قيمة مائزة؛ لما تتمتع به الاستعارة من أفقٍ واسع ضمن سياق النصّ والذي بدوره يمنح المتلقّي القدرة على الغور في النصّ ومعرفة الأبعاد التي نادى بها السابق.

ونجد هذا الفنّ البلاغيّ في قوله: "العقل مرشد ورفيق، والجهل عدوٌ وصديق" ^{١٠} تبرز في هذا القول الاستعارة التمثيليّة وهي "تركيبٌ استعمل في غير ما وضع له لعلاقة المشابهة مع قرينة مانعة من إرادة معناه الأصليّ، بحيث يكون المشبّه والمشبّه به هيئةً منتزعةً من متعدّد". ^{١١}

نرى في القول السابق ذكر المشبّه به وهو المرشد والرفيق، والمشبّه هو الإنسان الذي يتّبع عقله في أمور حياته فيكون له مثل الرفيق الذي يوجّهه ويصحّح قراراته ويساعده في اتّخاذ القرارات الصائبة. فتشبيه العقل بالمرشد والرفيق وهما صفات إنسانيّة شخّصت العقل، فبرز دور العقل في توجيه الإنسان، بل حصّاه على المعرفة أيضاً وذلك من خلال ذكر كلمة الجهل، وتشبيه الجهل بالعدو والصديق حمل بعضاً من التعقيد فالعدو والجهل كلاهما يعيق الفهم والنمو، بينما الصديق هنا ربّما للدلالة على أنّ الجهل قد يكون مصدر راحة ويؤدّي إلى قرارات تحمل معها راحة مؤقتة.

فبلاغة خطاب الإمام (عليه السلام) منحتة القدرة على اختيار الفنّ البلاغيّ الأمثل لجعل الفكرة أكثر جاذبيّة وقوّة وتأثيراً على المستمع. فكان التناقض بين المعاني لإبراز أهميّة العقل وضرورة التفكير والتحليل قبل اتّخاذ القرار.

وفي قوله (عليه السلام): "مَنْ أصغى إلى ناطق فقد عبده، فإن كان الناطق عن الله فقد عبد الله ، وإن كان الناطق ينطق عن لسان إبليس فقد عبد إبليس". ^{١٢}، تبرز الاستعارة

١٠ م الصدوق، محمد بن علي الشيخ. العلل، تحقيق. علي أكبر الغفاري طهران: دار الكتب الإسلامية، (١٩٩٢)، ١٦٠.

١١ الهاشمي، أحمد. جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، تحقيق. محمد التنوخي، ط ١ بيروت: مؤسسة المعارف، (١٩٩٩)، ٣٥٨.

١٢ الكشي، محمد بن عمر. رجال الكشي، تحقيق. حسن الأمين بيروت: دار التعارف (د.ت)، ٢٩٥.

في القول للتعبير عن معنى مجرد وهو الطاعة والعبادة، عن طريق استعارة فعل الاستماع والإنصات. فقامت علاقة السببية بين الاستماع والطاعة. فالإصغاء إلى القرآن الكريم أو قول النبي ﷺ يُعَدُّ جزءاً مهماً من العبادة، والقول الذي يعبر عن توجُّهات القرآن والحديث هو جزء من العبادة. وبذلك عندما يستمع المرء إلى ناطقٍ يعبر عن تعاليم الله ﷻ فهذا الاستماع هو عبادة لله ﷻ. والأمر نفسه مع الاستعارة في قوله "وإن كان الناطق ينطق عن لسان إبليس فقد عبد إبليس" فعند الإصغاء إلى من ينطق بالباطل والشر، فهو يعبد إبليس، وكان لفظ إبليس مستعاراً للدلالة على الشر والباطل، لأنَّ إبليس رمز به إلى كلِّ من التمرُّد والشر. واستعمال صيغة المقابلة بين من يستمع إلى ناطق عن الله ﷻ ومن يستمع إلى ناطق عن إبليس من أجل تصوير المعنى غير المادي بصورة حسية وذلك لتقريب المعنى وتعميق الأثر في المتلقي. فالإمام عليه السلام يحذّر من ضرورة الاختيار الصحيح لمن يستمع إليهم الإنسان، فهم مؤثرون في أفكاره ومعتقداته، ومن ثمَّ في أعماله.

وفي قوله عليه السلام: "إِيَّاكَ وَمَصَاحِبَةَ الشَّرِّيرِ، فَإِنَّهُ كَالسِّيفِ الْمَسْلُولِ، يَحْسُنُ مَنْظَرُهُ وَيَقْبَحُ أَثَرُهُ".^{١٣}

ظهرت الاستعارة التصريحية واضحة ومعبرة، فقد تجلّت في مقارنة صحبة الشرير بالسيف المسلول بطريقة غير مباشرة، فبيّنت مدى تأثير الصحبة السيئة باستعمال صورة بيانية وضّحت المقصد من القول السابق.

والتحذير واقع في بداية القول، وجملة إنّه "كالسيف المسلول" توضّح كيف أنّه يكون مهيباً وقوياً ولكن يخفي خلفه خطراً ودماراً. فأظهرت الاستعارة التصريحية التناقض القائم بين مظهر السيف المغربي والعواقب السلبية والأثر الضار الذي

يتركه. فالإمام الجواد عليه السلام حريصٌ كُلِّ الحرص على توجيه الأمة إلى ما هو خير لأنفسهم، فتتضح الأبعاد الروحية والمعرفية التي اتسمت بها خطبه وأقواله. و قوله: "نعمة لا تُشكر كسيئة لا تُغفر".^{١٤}

اعتمد فيه على المقارنة بين حالتين، إذ في بداية القول صوّر النعمة وكأنّها شيءٌ يجب الشكر عليه، والنعمة هي فضلٌ أو خيرٌ يأتي من الله عز وجل. فعكس بذلك أنّ النعم التي لا تشكر أشبه بالشيء غير المقدّر. فتصبح بذلك كالسيئة التي لا تغفر، وتبرز خطورة هذا الفعل في أنّ الله عز وجل يغفر كلّ الذنوب إلّا الشرك. وضحت الاستعارة المفهوم المعنوي، والتحذير من عدم الاعتراف بالفضل والجميل، وهنا تكمن قوّة المعنى وبلاغته عند الإمام الجواد عليه السلام.

٣- الكناية وأثرها في تعزيز المعنى:

تعدّ الكناية إحدى وسائل التصوير عند البلاغيين، عرّفها عبد القاهر الجرجاني: "أن يريد المتكلّم إثبات معنى من المعاني، فلا يذكره باللفظ الموضوع له في اللّغة، ولكن يجيء إلى معنى هو تاليه وردفه في الوجود فيومئ به إليه ويجعله دليلاً عليه".^{١٥}

فهي إذاً تعتمد على التعبير غير المباشر عن المعنى، باستعمال لفظ يشير إلى غير معناه الظاهر. وتعدّ الكناية وسيلة مهمّة لجذب انتباه السامع، ممّا يعمّق الفهم ويوسّع مدارك المعنى. وتأتي في الخطب لأغراض منها إبراز المعاني العميقة والتأكيد على قيمة معنى دون الإفصاح المباشر عنها، وتتضح من خلال براعة المتكلّم في التعبير عن أفكاره.

وبرزت الكناية في قول الإمام الجواد عليه السلام: من استحسّن قبيحاً كان شريكاً فيه".^{١٦}

١٤ الشيخ الصدوق، الأمالي، ١٤٥.

١٥ الجرجاني، دلائل الإعجاز، ٦٦.

١٦ النعماني، أحمد بن محمد. الغيبة، تحقيق. السيد هاشم رسولي محلاتي قم: دار الحديث، (١٩٩٤)، ١٢٨.

جاءت الكناية لتوضيح المفهوم الأخلاقي المرتبط بالموافقة والقبول بالخطأ والفعل السيئ. فلا استحسان في هذا السياق، لا يقصد به فقط الإعجاب بالشيء أو قبوله بل يشمل أيضاً التفاعل الفعّال مع هذا الشيء أو الاعتراف به. فالشخص الذي "يستحسن" شيئاً ما يشير إلى أنّه قد يكون موافقاً عليه أو راضياً عنه. والقبیح يشير هنا إلى الفعل السيئ أو الخاطئ، الذي يعدّه الناس عادة غير لائق أو منافٍ للأخلاق أي الجوهر الفاسد.

أمّا شريكاً تشير إلى الارتباط أو المشاركة في شيء ما، ويفهم من هذا أنّ الشخص الذي يعتقد أنّ القبيح حسن أو يستحسنه، فهو يشارك في الفعل السيئ سواء كان بشكل فعليٍّ أو فكريٍّ. في هذا القول، الكناية تكمن في أنّ "الاستحسان" يعبر عن موافقة أو دعم للفعل القبيح، بينما "الشراكة" تشير إلى تحمّل المسؤولية المشتركة أو المشاركة في الفعل ذاته. فالمعنى الضمنيّ هنا هو أنّ الشخص الذي يمدح أو يوافق على السلوك الخاطئ، حتّى وإن لم يقم به بشكل مباشر، فإنّه يشارك في نشره أو تعزيزه. إذن، المثل يركّز على فكرة أنّ التأييد السلبيّ أو القبول لأفعال غير أخلاقيّة يجعلك في نفس الخانة مع من قام بها. وبصورة بلاغيّة أبرز الإمام الجواد (ع) المسؤولية الجماعيّة في مواجهة الأفعال القبيحة، فكلٌّ من سكت عنه يتحمّل الآثار الناتجة.

وفي قوله: "كفى بالمرء خيانةً أن يكون أميناً للخونة"^{١٧}

حملت الكناية هنا معاني عميقة في التنبيه على قيمة الأمانة، فهي تدلّ على المعنى البعيد الذي يقصده المتكلّم وليس المعنى القريب.^{١٨}

فالتناقض قائم بين الأمانة والخيانة، فقد يكون الشخص أميناً ولكنّه ما دام يتعامل

١٧ الطبرسي، فضل الله بن الحسن. مجمع البيان بيروت: دار إحياء التراث العربي، (٢٠٠١)، ٢٢٠.

١٨ الأنصاري، ابن هشام. مغني اللبيب عن كتب الأعراب، تحقيق. مازن المبارك وحمد علي حمد الله، ط ٤ دمشق: دار الفكر، (١٩٨٥)، ٢٩٨.

مع الخونة فهذا يعدُّ بحدِّ ذاته خيانة. فأراد الإمام (عليه السلام) إرسال رسالة ضمنيَّة إلى المتلقِّين دون الإفصاح المباشر عن المعنى.

فالقول لا يقصد أنَّ الشخص نفسه يخون، بل يكمن في أنَّ الأمانة في التعامل مع الخونة هو في حدِّ ذاته نوع من الخيانة. فهو يشاركهم في أفعالهم بشكلٍ غير مباشر، وإن كان تصرُّفه نابعاً عن حسن نيَّة.

فبذلك يحضُّ الإمام (عليه السلام) على القيم الأخلاقيَّة بطرائق غير مباشرة، فكان القول أكثر قوَّة وعمقاً من مجرد إخبار الشخص بأنَّه خائن، فهي تفتح المجال لتفسير المعنى من زوايا متعدِّدة. فكانت الرسالة أكثر تأثيراً وعمقاً.

٤- المجاز وأثره في توليد الدلالات:

يعرَّف المجاز بأنَّه "اللفظ المستعمل في غير ما وضع له لعلاقة مع قرينة تمنع إيراد المعنى الحقيقي"^{١٩}.

إنَّ استعمال المجاز في الأقوال والخطب يمنحها دلالاتٍ جديدةً تجعل المتلقِّي مسهِّماً في إنتاج الدلالة وتأويلها للوصول إلى قصد المتكلِّم. واعتاد الإمام الجواد (عليه السلام) لأنماطِ المجاز في الأقوال فتح آفاقاً واسعةً للمعاني، وهو دليل على الحسِّ البلاغيِّ عنده.

ففي قوله: "من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه"^{٢٠}.

يحتوي على مجازٍ مرسلٍ من نوع العلاقة الجزئيَّة. فجاء هذا القول للتعبير عن ضبطِ النَّفسِ وتوجيهها إلى الأمور التي تعود بالفائدة على الإنسان والمجتمع.

فالمجاز في قوله "حسن إسلام المرء" لا يعني به الإسلام الظاهري، بل يقصد الإسلام الذي يتجسَّد في سلوك الفرد وبتركه ما لا يعنيه التي قصد فيها أموراً

١٩ عباس، فضل حسن. البلاغة فنونها وأفنانها، علم البيان والبديع، ط ٢ دار الفرقان للنشر والتوزيع، (٢٠٠٧)، ١٣٤.

٢٠ الترمذي، محمد بن عيسى. جامع الترمذي، تحقيق: أحمد شاكر بيروت: دار إحياء التراث العربي، (١٩٩٤)، ٤٣٠.

لا تختصه، وانشغاله لما لا يعود بالفائدة والنفع عليه. فجاءت الكلمة للدلالة على الأمور غير الضرورية والتي لا تتعلق بالفرد بشكل مباشر. لقد ساعدت بلاغة الإمام (عليه السلام) في التعبير عن رسالته، وترك مساحة واسعة للوصول إلى المعنى المراد، تلك الرسالة التي قصد منها عدم التدخل في الأمور التي لا تنفع. وسعى من خلال الإيجاز إلى وصف حالة الإنسان الذي يسعى إلى تحقيق الإسلام الصحيح، واختصر في جملة واحدة معنى عميقاً في ضبط النفس وتقليل الفضول. ويظهر المجاز المرسل وهو "استخدام اللفظ في غير معناه الأصلي لعلاقة غير المشابهة"^{٢١} وتتعدد علاقاته على سبيل المثال السببية والجزئية والكيفية والمجاورة. ففي قوله: "لاخير في الحياة إلا مع العبادة"^{٢٢}

جاء المجاز المرسل في كلمة الحياة وذلك للدلالة على الوجود الحقيقي، فالحياة المقصودة ليست الحياة البيولوجية بل الحياة الكريمة التي لا تتحقق إلا بالعبادة، فهي من تمنح هذه الحياة معنى وقيمة حقيقية. فكانت الحياة في القول السابق مجازاً مرسلًا عن الوجود الحقيقي الذي يكتسب من العبادة، وتظهر العبادة في القول أنها ليست مجرد طقوس دينية بقدر ما هي نظام حياة تحسّن نواحي الحياة الروحية والاجتماعية. والعلاقة سببية بين الحياة والعبادة، فهي سبب تحصيل الخير، وإعطاء قيمة معنوية ودينية لحياة الإنسان فيكون بتلك الحياة الوجود الكامل.

وفي قوله: "المرء بما لا يعلم أحق من غيره."^{٢٣} جاءت جملة "بما لا يعلم" مجازاً مرسلًا عن الجهل، وهذا المجاز علاقته علاقة الجزء بالكل. إذ إن القول يشير إلى قلة علم الشخص أو النقص في المعرفة، فليس

٢١ الزخشي، محمود بن عمر. الكشف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، تحقيق: خليل مأمون شيخا بيروت-لبنان: دار المعرفة، (٢٠٠٩)، ١٧٣.

٢٢ ابن طاووس، علي بن موسى. الطرائف. قم: مؤسسة آل البيت، (١٩٩٣)، ٧٨.

٢٣ الطبرسي، مجمع البيان، ٤٢٠.

المقصود الجهل بمعناه الحرفي. فالشخص الذي يجهل شيئاً أولى بالسكوت من غيره الذي يمتلك المعرفة.

واعتمد في قوله على الإيجاز من خلال اختصار فكرتين، فالإمام (عليه السلام) أراد أن يوصل رسالةً بألفاظٍ قليلةٍ ويوضح من خلال جملةٍ قصيرةٍ أن الشخص الذي يفتقر إلى العلم لا ينبغي له أن يصدر حكماً أو رأياً حول مسألة قد لا يكون على دراية بها. فالإيجاز جعل الرسالة قوية مؤثرة.

وفي قوله: "من أراد أن تكون له دراية في الدنيا فليحسن إلى الناس" ^{٢٤} يحمل هذا القول معنىً عميقاً يبين أهمية علاقة الإنسان بالآخرين، وكيفية بيان أن التعامل الحسن هو طريقٌ للتقدير بينهم. فكلمة "دراية" هنا ليست فقط دليلاً على المعرفة في الحياة، بل تشير أيضاً إلى الحكمة والفتنة التي تمكن الإنسان من التفاعل مع المجتمع، وكلمة "الدنيا" تعبر عن الحياة الاجتماعية والعلاقات الإنسانية فالدنيا ليست مقتصرة على الماديات فقط. وجعل من "من أراد" كلمة تشير إلى أن هذا طريق التي تستطيع أن تكسب فيه الناس، إنها اختيارية، ففتح المجال للمتلقّي لاختيار سلوكه الذي يحدد مكانته بين الناس.

فدعوة الإمام (عليه السلام) تكمن في الدعوة إلى إقامة علاقات اجتماعية إيجابية فعالة مع الناس، فالإحسان يخلق شبكة من الدعم والتقدير.

وفي قول الإمام الجواد (عليه السلام): "أكثر الناس شكوى من الله أنهم صبراً على بلائه" ^{٢٥} يحمل القول السابق رسالةً قويةً في تنبّه الناس إلى أنه من يكثر من الشكوى لا يملك الصبر على البلاء، فالقول يعزز من قيمة الصبر واعتباره من مظاهر الإيمان القوي.

٢٤ البحراني، يوسف بن أحمد البرهان بيروت: دار إحياء التراث العربي، (٢٠٠١)، ٥٠٠.
٢٥ أبي حديد، محمد بن أبي حديد. شرح نهج البلاغة، تحقيق. عبد الحميد الفقهي القاهرة: ، دار إحياء الكتب العربية، (١٩٥٩)، ٢٤٩.

ويحتوي القول على مجاز مرسل من نوع العلاقة السببية. المجاز هنا هو في استخدام الشكوى للإشارة إلى الاعتراض أو التمرد على البلاء، وفي المقابل فإن الصبر على البلاء هو الذي يُظهر القوة الإيمانية في مواجهة المصاعب. وأسلوب المقابلة بين الشكوى والصبر عكس ضعف الإيمان عند نزول المصائب. فالمقابلة عملت على إبراز التباين بين من يظهر المعاناة ويتذمر من قضاء الله عز وجل وبين من يقبل قضاء الله عز وجل ويجعل الصبر ملازمًا له. ومن خلال استعمال "أكثر" يدلُّ على انتشار هذه الظاهرة بين الناس، فأراد الإمام (عليه السلام) من خلاله إيصال رسالة مفادها أن الصبر يدلُّ على الإيمان الحقيقي وكثرة الشكوى ما هي إلا دليل على ضعف الإيمان وقلة الصبر.

النتائج:

من خلال ما تقدّم من التحليل لبعض أقوال الإمام الجواد (عليه السلام)، توصّل البحث إلى عدد من النتائج التي قد تتنوع حسب ما تمّ التركيز عليه في البحث ولكنها بشكلٍ عامّ تتلخّص فيما يأتي:

١- برزت البلاغة في أقوال الإمام الجواد (عليه السلام) كأداة إستراتيجية مهمّة في الخطابات الدينية والاجتماعية والفكرية، فقد مثلت أقواله نموذجًا حيًا للبلاغة البيانية القويّة، يستفاد منها في الدراسات الحديثة من خلال التعبير عن المعاني المعقّدة بالأنماط البسيطة والواضحة.

٢- استعمل الإمام (عليه السلام) أنماطًا بلاغيةً متنوّعةً مثل التشبيه والاستعارة والكناية وغيرها من الأنماط البلاغية لإيصال المعنى دقيقًا، وهذه الأنماط جعلت من أقواله أداة فعّالة في التأثير على المتلقّين.

٣- كان الإمام (عليه السلام) يستعمل التشبيه والاستعارة بشكلٍ يدلُّ على مستوى بلاغيٍّ عالٍ، وذلك لنقل المفاهيم العميقة بشكلٍ بسيطٍ، فبدت تلك الأقوال أكثر تأثيرًا،

فعلى سبيل المثال تشبيه العقل بالرفيق والجهل بالعدوِّ ممَّا يعزّز الفكرة التي يريد الإمام (عليه السلام) إيصالها بطريقةٍ فكريّةٍ وبلاغيّةٍ.

٤- برز نمط المبالغة في جميع أقواله كأداةٍ مهمّةٍ للتأكيد على أهميّة المفاهيم الدّينيّة أو الاجتماعيّة ومثال ذلك تأكيده الأجر الكبير الذي يناله المصلح. فهذا النمط زاد من تلك المفاهيم عظمةً.

٥- لقد استطاع الإمام الجواد (عليه السلام) أن يدمج بين الدّعوة إلى الأخلاق والوعي الاجتماعيّ، وليس هذا فقط باعتداده أنماط علم البيان التي جعلت أقواله قادرةً على التأثير العميق في النفوس.

المصادر:

الشيخ الصدوق. الأمالي. تحقيق لجنة

وتحقيقات. مكتب الإعلام الإسلامي.

ط ١. طهران: دار الكتب الإسلامية، ١٩٩٠.

الشيخ الصدوق، مُحَمَّد بن علي. العلل.

تحقيق علي أكبر الغفاري. طهران: دار الكتب الإسلامية، ١٩٩٢.

الطبرسي، فضل الله بن الحسن. مجمع البيان.

بيروت: دار إحياء التراث العربي، ٢٠٠١.

الكشي، مُحَمَّد بن عمر. رجال الكشي. تحقيق

حسن الأمين. بيروت: دار التعارف، د.ت.

الكليني، أبو جعفر مُحَمَّد بن يعقوب. الكافي.

تحقيق علي أكبر الغفاري. طهران: دار

الكتب الإسلامية، ١٩٨٣.

المجلسي، مُحَمَّد باقر. بحار الأنوار. بيروت:

دار إحياء التراث العربي، ١٩٨٣.

النعماني، أحمد بن مُحَمَّد. الغيبة. تحقيق السيد

هاشم رسولي محلاقي. قم: دار الحديث،

١٩٩٤.

الهاشمي، أحمد. جواهر البلاغة في المعاني

والبيان والبدیع. تحقيق مُحَمَّد التنوخي.

ط ١. بيروت: مؤسسة المعارف، ١٩٩٩.

القرآن الكريم.

ابن الأثير. المثل السائر في أدب الكاتب

والشاعر. تحقيق بدوي الحوفي، أحمد

طبانة. ط ٢. دار النهضة العربية، ١٩٧٣.

ابن طاووس، علي بن موسى. الطرائف.

قم: مؤسسة آل البيت، ١٩٩٣.

الأنصاري، ابن هشام. مغني اللبيب عن كتب

الأعاريب. تحقيق مازن المبارك وحمد علي

حمد الله. ط ٤. دمشق: دار الفكر، ١٩٨٥.

البحراني، يوسف بن أحمد. البرهان. بيروت:

دار إحياء التراث العربي، ٢٠٠٣.

البغدادی، قدامة بن جعفر. نقد الشعر. ط ١.

القسطنطينية: مطبعة الجوائب، د.ت.

الترمذي، مُحَمَّد بن عيسى. جامع الترمذي.

تحقيق أحمد شاکر. بيروت: دار إحياء

التراث العربي، ١٩٩٤.

الجرجاني، عبد القاهر. دلائل الإعجاز.

تحقيق محمود مُحَمَّد شاکر. ط ٥. القاهرة:

دار المعارف، ١٩٩٢.

الزنجشيري، محمود بن عمر. الكشف عن

حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل

في وجوه التأويل. تحقيق خليل مأمون

شيحا. بيروت-لبنان: دار المعرفة، ٢٠٠٩.

- بركة, فاطمة الطبال. النظرية الألسنية عند
رومان جاكسون. بيروت: المؤسسة
العربية للدراسات والنشر, ١٩٩٨.
ابن أبي حديد, مُحَمَّد. شرح نهج البلاغة.
تحقيق عبد الحميد الفقي. القاهرة: دار
إحياء الكتب العربية, ١٩٥٩.
سليمان, علي مُحَمَّد. كتابة الجاحظ في ضوء
نظريات الحجاج رسائله أنموذجًا.
البحرين: المؤسسة العربية للدراسات
والنشر, ٢٠١٠.
طبانة, بدوي. علم البيان, دراسة تاريخية
فنية في أصول البلاغة. ط٢. الأنجلو
المصرية, ١٩٦٧.
عباس, فضل حسن. البلاغة فنونها وأفنانها,
علم البيان والبديع. ط٢. دار الفرقان
للنشر والتوزيع, ٢٠٠٧.

References

The Glorious Qur'an

- Ibn al-Athir. (1973). Al-Mathal al-Sa'ir fi Adab al-Katib wal-Sha'ir. (B. al-Hawfi & A. Tabanah, Eds.). Dar al-Nahdah al-'Arabiyyah.
- Ibn Tawus, A. b. M. (1993). Al-Tara'if. Mu'assasat Al al-Bayt.
- Al-Ansari, I. H. (1985). Mughni al-Labib 'an Kutub al-A'arib. (M. al-Mubarak & H. A. Hamad Allah, Eds.). Dar al-Fikr.
- Al-Bahrani, Y. b. A. (2003). Al-Burhan. Dar Ihya' al-Turath al-'Arabi.
- Al-Baghdadi, Q. b. J. (n.d.). Naqd al-Shi'r. Matba'at al-Jawa'ib.
- Al-Tirmidhi, M. b. I. (1994). Jami' al-Tirmidhi. (A. Shakir, Ed.). Dar Ihya' al-Turath al-'Arabi.
- Al-Jurjani, A. Q. (1992). Dala'il al-I'jaz. (M. M. Shakir, Ed.). Dar al-Ma'arif.
- Al-Zamakhshari, M. b. O. (2009). Al-Kashshaf 'an Haqa'iq Ghawamid al-Tanzil wa 'Uyun al-Aqawil fi Wujuh al-Ta'wil. (K. M. Shihah, Ed.). Dar al-Ma'rifah.
- Al-Sheikh al-Saduq. (1990). Al-Amali. (Lajnat wa Tahqiqat, Eds.). Maktab al-'Ilam al-Islami. Dar al-Kutub al-Islamiyyah.
- Al-Sheikh al-Saduq, M. b. A. (1992). Al-'Ilal. (A. A. al-Ghafari, Ed.). Dar al-Kutub al-Islamiyyah.
- Al-Tabarsi, F. b. al-H. (2001). Majma' al-Bayan. Dar Ihya' al-Turath al-'Arabi.
- Al-Kashshi, M. b. O. (n.d.). Rijal al-Kashshi. (H. al-Amin, Ed.). Dar al-Ta'aruf.

- Al-Kulayni, A. J. M. b. Y. (1983). Al-Kafi. (A. A. al-Ghaffari, Ed.). Dar al-Kutub al-Islamiyyah.
- Al-Majlisi, M. B. (1983). Bihar al-Anwar. Dar Ihya' al-Turath al-'Arabi.
- Al-Nu'mani, A. b. M. (1994). Al-Ghaybah. (S. H. Rasouli Mahallati, Ed.). Dar al-Hadith. Qom.
- Al-Hashimi, A. (1999). Jawahir al-Balaghah fi al-Ma'ani wal-Bayan wal-Badi'. (M. al-Tanoukhi, Ed.). Mu'assasat al-Ma'arif. Beirut.
- Barakah, F. T. (1998). Al-Nazariyyah al-Lisaniyyah 'ind Roman Jakobson. Al-Mu'assasah al-'Arabiyyah lil-Dirasat wal-Nashr. Beirut.
- Ibn Abi al-Hadid, M. (1959). Sharh Nahj al-Balaghah. (A. A. al-Faqi, Ed.). Dar Ihya' al-Kutub al-'Arabiyyah. Cairo.
- Sulaiman, A. M. (2010). Kitabat al-Jahiz fi Daw' Nazariyyat al-Hijaj: Rasa'iluhu Anmudhajan. Al-Mu'assasah al-'Arabiyyah lil-Dirasat wal-Nashr. Bahrain.
- Tabanah, B. (1967). 'Ilm al-Bayan: Dirasah Tarikhiyyah Fanniyyah fi Usul al-Balaghah. Al-Anglo al-Misriyyah.
- Abbas, F. H. (2007). Al-Balaghah fununuha wa afnanuha: 'Ilm al-Bayan wa al-Badi'. Dar al-Furqan lil-Nashr wal-Tawzi'.